تاريخ الخديوية في مصر

إعداد

أ.د/ مجدى عبد الجواد علوان عثمان

أستاذ الآثار والعمارة الإسلامية
وكيل كلية الآداب – جامعة أسيوط

بدأ حكم محمد علي لمصر في (13 صفر عام 1220هـ / 13 مايو عام 1305م) ، وتأسست بذلك الأسرة العلوية الحاكمة ، وقد حكم محمد علي مصر منذ عام (1220 هـ / 1805م) إلى عام (1265هـ / 1848م) ، حيث تولى الحكم في حياته ابنه الأكبر إبراهيم باشا الذي لم يحكم سوى ثلاثة أشهر فقط ، حين وافته منيته في عام (1265هـ / 1848م) على أثر مرض لم يمهله طويلاً ، وترك إبراهيم بعد وفاته ثلاثة أبناء من ثلاثة زوجات وهم ، الأمير أحمد رفعت من الأميرة شيوة كار ، والأمير إسماعيل من الأميرة خوشيار أو هوشيار والذي تولى الحكم عام 1863م ، والأمير مصطفي فاضل من الأميرة ألفت .

<u>كيفية الوصول إلى نظام الخديوية :</u>

ظل خلفاء محمد عل ي باشا على حالهم مع الباب العال ي في استانبول يلقبون بالباشاوات ، ويؤدون خراج بلادهم للدولة العثمانية ، إلا أن إسماعيل باشا نال من السلطان أن تكون الإمارة للبكر من بنية ، وأن يلقب بالخديو ، وأن يبعث بالسفراء والوكلاء السياسين لدى الحكومات الأوروبية .

وتفصيل ذلك أنه كان الشاغل الأول لإسماعيل (1830 – 1895م) هو تسوية حق وراثة العرش عن طريق مبدأ الوراثة المباشرة ، والذي كان يشبه ما يحدث في الأسر الملكية في أوروبا ، وكان محمد علي (1769 – 1849م) قد توصل للحصول عن طريق الفرمان السلطانيِ الصادر في أول يونيو عام 1841م على حق الوراثة الشرعية لأفراد أسرته طبقًا لنظام أكبر الموجودين سنًا ، وطبقًا لهذا الفرمان تولى ابنه إبراهيم باشا أولاً (1789-1848م) ، والذي تولى من يونيو إلى نوفمبر عام 1848م ، وسعيد باشا (1822-1863م) ، والذي تولى المدة (1854-1863م) .

وحتى مجيء إسماعيل باشا إلى الحكم حاول أربعة حكام الحصول على حق الوراثة المباشرة من أجل أبنائهم -غير أن سعيهم في الحصول على تدخل مباشر من جانب فرنسا وانجلترا لدى الباب لم يؤد إلا إلى إحباط آمالهم ، وذلك بسبب التعقيدات الدولية العديدة ومعارضة الدولة العثمانية . غير أن إسماعيل باشا نجح في عام (1282هـ/1865م) أن ينل من الباب العال ي خطًا شريفًا يأذن له بأن تكون حكومة مصر وراثية في عائلته مباشرة ، وفي العام التالي (1283هـ/1866م) نال من إنعام السلطان عبد العزيز لقب " خديو" وهو أول من نال هذا اللقب في عائلته وهو أرفع رتب وزراء الدولة وأصبحت بموجبه الخديوية وراثية ، ثم جاءه في عام (1290هـ/1872م) الفرمان الشاهانيِ الذي يخول له كافة الحقوق المعطاه لرتبة الخديوية وه ي حقوق الوراثة لأول أبناءه ، والاستقلال بالأحكام الإدارية ، وعقد المعاهدات مع الدول الأجنبية ، واستقراض القروض ، وزيادة الجيش أو تقليله بحسب اللزوم ، وتقدير الجزية التي تدفع للدولة العلية العثمانية بمبلغ 150.000 كيس ، وبموجب ذلك أعلن الخديوى إسماعيل ناظر المالية المصرية بزيادة الجزية المرتبة سنويًا على مصر بموجب أمر صادر منه بتاريخ 17 صفر عام 1283هـ/ 1866م نصه :

" أنه بموجب الفرمان العالى الصادر إلينا من السلطنة السنية بتاريخ الحادى عشر من شهر محرم الحرام عام ألف ومايتين وثلاثة وثمانين الهجرية والموشح أعلاه بالخط الهميونى قد تقرر تحويل امتياز حق التوارث الشرعى لذريتى ... وزيادة المرتب المقرر على مصر وقدره ثمانون ألف كيس إلى مائة ألف كيس اعتبارًا من أول مارس عام 1282م لخزانة الدولة العلية سنويًا .

وبمقتضى فرمان 8 يونيو عام 1873م حصل إسماعيل وبعد مفاوضات طويلة وصعبة على لقب (خديو) ، ولم يقتصر هذا الفرمان على مجرد نظام تولي الحكم في أسرة إسماعيل -بل اعترف كذلك بسلطته وأفرد له اختصاصات عديدة منها منحه إمكانية زيادة عدد جنود الجيش إلى ثلاثون ألف جند ي ، وأن يضرب في مصر ما يلزمه من نقود وبطراز يختلف عن طراز سكة السلطنة العثمانية .

و خديو : كلمة فارسية ترتقي بالملقب بها إلى رتبة الملوك و السلاطين ، وه ي أقل من الخلافة وأعلى من الوزارة بمعنى (السيد- الصاحب- الملك) ، واستعملت في مصر للدلالة على الحاكم ، وأول من تلقب بها رسميا ونالها من الباب العالي بفرمان سلطاني هو الخديو إسماعيل .

وقد نال هذا اللقب من بعد الخديوي إسماعيل اثنين فقط من أفراد أسرة محمد هما:

1-الخديو محمد توفيق:

الابن الأكبر للخديو إسماعيل الخديو ولد عام 1269هـ / 1852م ، وتولى أريكة الخديوية خلفًا لوالده المخلوع عام 1296هـ / 1878م ، وتوفي في 7 جمادى الثاني عام 1309هـ / الموافق 7 يناير عام 1892م بسبب إلتهاب رئو ي حاد ، وكان ذلك في سرايا حلوان .

2-الخديو عباس حلمي الثاني خديو مصر الأخير:

بوفاة الخديوى توفيق المفاجئة بدأت الأنظار في مصر وتركيا تتجه نحو ابنه الأكبر عباس حلم ي الثاني ، المقيم آنذاك في النمسا ، وقد نشر ت الصحف المعاصرة ردود فعل تلك الوفاة منها ما نشرته جريدة

Journal Le Bosphore Egyptien

تحت عنوان "مات الخديوي فليحيا الخديو ي" ، استأثرت رحمة الله بمحمد توفيق باشا وسيخلفه سمو عباس باشا نجله الأكبر بموجب حقوق وراثته ، إذا راجعنا منطوق الفرمان المؤرخ في 19 شعبان عام 1296هجرية الصادر في تولية المغفور له الخديوي السابق نجد في نصه هذه العبارة وه ي:

" إنه طبقًا للقاعدة المؤيدة بالفرمان المؤرخ في 12 محرم عام 1283هجرية الصادر بشأن انتقال الخديوية المصرية من الخديو ي إلى بكر أنجاله ، وبما أنك أكبر أنجال سمو إسماعيل باشا فقد وكلنا إلى عهدتك الخديوية المصرية " وهذا هو المبدء الجوهر ي المبنى عليه فرمان 1283هـ وفرمان 13 ربيع آخر عام 1290هـ اللذان كان سبب صدورهما سع ي سمو الخديوى إسماعيل باشا ، وجاء أيضًا في نصوص الفرامين الشاهامية ما يأتي :

" ومنذ الآن صارت حكومة مصر والأراضى التابعة لها والمتعلقة بها تنقل إلى بكر أبنائك الذكور وإلى أبكار أبنائهم من بعدك " .و الفرمان الصادر في 2 صفر عام 1283هـ يحل مسألة الوصاية إذا كان بكر الخديو ي قاصرًا ويحدد لبلوغ سن

رشد أولياء العهد سن الثامنة عشرة والفرمان الصادر في 13 ربيع آخر عام 1290 هـ يؤكد كل هذه النظامات ، وبناءًا على ذلك كان سمو الخديو ي عباس باشا حلم ي هو ابن الخديوى توفيق ، وحفيد إسماعيل باشا خديوى مصر الأول وابن حفيد إبراهيم باشا النائب الثان ي عن السلطان الأعظم على مصر وسليل محمد علي باشا مؤسس الدولة المصرية هو اليوم خديو ي مصر وهو قد بلغ رشده منذ العام الماضية وكان إشهار ذلك بطريقة رسمية عرفتها أوروبا جميعها فهو والحالة هذه خديو مصر فليحيا عباس باشا حلمي .

وقد نشرت Daily Graph الإنجليزية ما نصه " . . . ولاشك إن خلف الخديوى المرحوم توفيق باشا يعوض على مصر والمصريين تلك الخسارة العظمى لأن سمو نجله الكبير حازم الرأى عالى الهمة وقد اكتسب بواسطة سياحته الطويلة في عواصم أوروبا خبرة واختبارًا يزيد انه قادرًا على إدارة شئون البلاد .

أما جريدة تاج بلاط النمساوية فقد ذكر فيها " . . . أما سمو الأمير عباس باشا الذي هو الوارث الشرعى للأريكة الخديوية المصرية بموجب الفرمان الشاهان ي الصادر عام 1873م فإنه لاشك يبقى ذكر والده حيًا وذلك باتباعه مبدأه المستقيم ومسلكه القويم ، وجرائد النمسا عمومًا تعترف بأن سمو البرنس عباس باشا ذو ذكاء متقد ونباهة تامة وشهامة محمودة فهو لذلك خليق بكل مدح حقيق بكل ثناء .

من جانبه أرسل الصدر الأعظم في تركيا برقية إلى رئيس مجلس النظار المصري يعترف بحق الخديوى عباس حلم ي المقيم آنذاك في النمسا في تولي العرش نصه :

" لقد عربت لصاحب الجلالة الأمبراطورية السلطان بأنه طبقًا للفرمان الذي يسوي مسألة وراثة خديوية مصر فإن خلافة المرحوم توفيق باشا قد انتقلت إلى ابنه الأكبر صاحب السمو عباس حلم ي باشا ، وإنه في انتظار وصوله إلى مصر سيكون لسعادتكم مع معاونة الزملاء تسيير إدارة البلاد ، وقد أعطى صاحب الجلالة الإمبراطورية أوامره في هذا الاتجاه وإني أسرع بإبلاغك .

ويعد الخديو عباس حلمي الثاني وهو آخر من لقبوا بالخديوي ، وورد هذا اللقب في جميع نصوص الإنشاء والتجديد بعمائره الدينية والمدنية .

وألغيت الخديوية بطريقة تعسفية بعد إعلان الحماية البريطانية على مصر يوم 19 ديسمبر عام 1914م ، وتعيين الأمير حسين كامل باشا عم الخديوى عباس حلمي من جانب انجلترا لكي يأخذ مكانه ليس كنائبًا لسلطان الدولة العثمانية ولكن كسلطان على مصر التي أخضعت بدرجة أكبر لسلطة الاحترل البريطاني.

جدول يوضح ألقاب أفراد أسرة محمد

م	الاسم	اللقب	مدة الحكم
1	محمد علي	الباشا	1805-1848م
2	إبراهيم بن محمد علي	الباشا	ثلاثة أشهر 1848م
3	عباس بن طوسون بن محمد علي	الباشا	1848-1853م)
4	سعيد بن محمد علي	الباشا	1854-1863م
5	إسماعيل بن إبراهيم بن محمد علي	الخديو	1863-1878م
6	محمد توفيق بن إسماعيل	الخديو	1878-1892م
7	عباس حلمي بن محمد توفيق	الخديو	1892-1914م
8	حسين كامل بن إسماعيل		1914-1917م
9	فؤاد الأول بن إسماعيل	سلطان ملك	1917-1922م 1922-1937م
10	فاروق بن فؤاد الأول	ملك	1937-1952
11	أحمد بن فؤاد	ملك	1952-1953م

الخديوي عباس حلمي الثاني خديو مصر الأخير